كلمة وزارة الثقافة

أ. د. ثائر زين الدين(*)

أعلنَ ذاتَ يومٍ الأديبُ الإسبانيُّ (كاميلو جوزيه سيلا) – الحاصلُ على جائزة نوبلَ في الأدبِ لعام ١٩٨٩م – أنَّ ثورةَ الاتصالاتِ وانفجارَ وسائلِ التواصلِ التي تخطَّتْ عاملَ الزمانِ، وألغتْ أبعادَ المكانِ ستُفْضي شيئاً فشيئاً إلى انسحابِ مُجْمَلِ اللُّغاتِ البشريَّةِ من التداولِ، وانغلاقِها في تجمعاتٍ محليةٍ صغيرةٍ، ولن تُكْتَبَ الحياةُ إلا لأربعِ لغاتٍ قادرةٍ على الحضورِ العالميِّ والتداولِ الإنسانيِّ هي: الإنكليزيةُ والإسبانيةُ والعربيةُ والصينيةُ.

إنَّ هذا الرأيَ الذي تناقلتْهُ وسائل الإعلامِ ذاتَ يومٍ وأحدثَ زوبعةً ثقافيّةً، ولا سيما في الغربِ، يبعثُ في نفوسنا – نحنُ العربَ – النشوةَ والغبطةَ، ويجعلُ مَنْ هُمْ مثلي – ممن درسوا خارجَ الوطنِ، وعايشُوا تأثرَ لغاتٍ عديدةٍ بالعربيةِ – يطمحونَ إلى تجديدِ مجدِها، لكنَّ الحقيقةَ التي نراها بأُمِّ أعينِنا والمتمثلةَ بتراجعِ حضورِ هذه اللُّغةِ في أقطارِ وطنِها نَفْسِه، وفي المحافلِ الدَّوليةِ والمؤتمراتِ الكوكبيةِ المختلفةِ = تجهرُ بغيرِ ذلك. ولا يخفى على العالمينَ بخصوصيّةِ هذا الشَّأْنِ تضافرُ عاملَيْنِ حاسمَيْنِ في تردِّي وضع العربيَّةِ؛ الأوَّلُ هو عاملٌ موضوعيٌّ نقول: خارجيٌّ، وقد وصَّفَ الدكتور عبدُ السلام المسدي ذلك بقولهِ: «لنْ تَعْمَى الأبصارُ كما قد تَعْمَى لو أَنَّها

(*) مدير عام الهيئة العامة السورية للكتاب.

أنكرتْ أَنَّ سلاحَ الكونيّةِ الثقافيَّةِ الغازيةِ إنّما هو اللُّغة، وأَنَّ هدفَها المبتغى، وقَنْصَها الأمثلَ ومنالَها الأخيرَ إنما هي اللُّغةُ، فباللُّغةِ تغزو لتكتسحَ قلعةَ الهُويَّةِ الثقافيّةِ باختراقِ سورِها، ثمَ بنسفِها مِنَ الدَّاخل، وما سُورُها المسيّجُ لها إلا اللُّغةُ. إنّنا إذا قلْنا: إنَّ الغربَ - بمفهومِهِ الثَّقافيِّ الموروثِ ثمَّ بمفهومِهِ المتلبّسِ بصيغِ النظامِ العالميِّ الجديدِ - يترصَّدُ باللُّغةِ العربيَّةِ فلسنا نزايدُ على حماسةِ الضميرِ الواعي، ولسْنا نَلْتَجِئُ إلى العَزْفِ على أَوْتَارِ النَّعرةِ الحضاريَّةِ، وما نحنُ متوسلونَ البتَّةَ برواسبِ الخطابِ الأيديولوجيِّ...».

ويؤكد الدكتور المسدي أن مردَّ ذلك إلى خوف المخططين الإستراتيجيين في كثيرٍ من الدوائر الغربيّة من تزايد الوزن الحضاري للعربيّة، فاللِّسانُ العربيُّ هو اللُّغةُ القوميّةُ لنحو ٤٠٠ مليونِ إنسانٍ، وهو المرجعيّةُ الاعتباريّةُ لأكثرَ مِنْ مليارِ مسلمٍ غيرِ عربيٍّ، إضافة إلى أنَّ هذا اللِّسانَ حاملُ تراثٍ وناقلُ معرفةٍ وشاهدٌ حيٌّ على الجذورِ التي كانتْ أحدَ أسبابِ نهوضِ الغربِ الحديثِ في العلومِ المختلفةِ.

والعاملُ الآخرُ هو عاملٌ ذاتيٌّ داخليٌّ، يتمثّلُ في اللهجاتِ العاميّةِ التي لا تُحصى، والتي اكتسحتِ الفضاءَ الحيويَّ للعربيةِ الفُصْحى، ونحنُ أفراداً ومسؤولينَ نسهِّلُ لها ذلك، فقد غَزَتْ هذه العاميّاتُ الحقولَ كُلَّها؛ مِنْ منابرَ إعلاميَّةٍ وسمعيَّةٍ وبصريَّةٍ، إلى الحواراتِ الثقافيّةِ المختلفةِ في أبرزِ المؤسساتِ الثقافيةِ وأهمِّها، إلى مجالسِ الفكرِ، بل - وهذا الأخطرُ - إلى قاعاتِ التدريسِ ومدرجاتِ الجامعاتِ، وكثرتِ الأغلاطُ التي يرتكبُها خريجو الجامعاتِ والمتعلّمون والمعلِّمون بصورةٍ مضحكةٍ؛ فهربُوا إلى التعبيرِ بالعاميّاتِ... فكيف يمكنُ لمجتمعٍ عربيٍّ أن يؤسسَ منظومةً معرفيّةً دونَ أَنْ يمتلكَ منظومةً لغويةً شاملةً، مشتركةً متجذّرةً، قادرةً على النهوضِ

بالأبعادِ الفكريّةِ والروحيّةِ والإبداعيةِ المختلفةِ، «فاللُّغة هي الحاملُ الضروريُّ اللازمُ والمواكبُ لكلِّ إنجازٍ تنمويٍّ».

إنَّ ما نخشاهُ أَنَّنا أمّةٌ عربيّةٌ تسعى بعضُ أقطارها إلى بناءِ منظومةٍ تنمويةٍ على حينِ يُغْمِضُ زعماؤها عيونَهم عن المأْزقِ اللُّغويِّ المكينِ الذي تعيشُهُ ويُهَدِّدُ هويَّتَها، إلا في بعضِ التجاربِ النادرةِ؛ أَعْني التجربةَ السوريةَ التي عادتْ للاهتمامِ بالعربيةِ ووضعِ مسألةِ العنايةِ بها والتمكينِ لها في برنامجِ قيادتِها السياسيةِ العُلْيا منذ عام ٢٠٠٧ م؛ ومعَ ذلك تبقى التجربةُ السوريةُ قُطْريةً، وهيهاتَ أَنْ تأخذَ بها الأقطارُ العربيةُ الأُخرى، وتضعَ مجتمعةً مشروعاً لغويًّا شاملاً. وما نخشاه أَنْ نرى لغتَنا العربيّةَ خلال هذا القرنِ تُلاقي مصيرَ اللاتينيّة، فتحلّ العاميّاتُ المنحدرةُ منها محلَّها... إلا إذا انتفضَ أصحابُ القرار فيها، وأدركوا هولَ ما يواجهونَ، ورفضوا أن تصبحَ أمّتُهم أمةً بلا هُويّةٍ لُغويَّةٍ.

وفي هذا السِّياقِ لا بُدَّ لنا أن نثمّنَ عالياً دورَ مجمعكم الكريم في حفظِ العربيّةِ وتطويرِها وتبسيطِها؛ ودورَ اللّجنة العُلْيا للتمكينِ للغةِ العربيّةِ، وهي التي سعتْ منذُ تأسيسِها بدأبٍ وحميّةٍ للحفاظِ على اللغةِ العربيّةِ والارتقاءِ بها ومتابعةِ شؤونها ميدانيًّا في الوزاراتِ والمحافظاتِ كلِّها.

وإنّه لمنْ دواعي سروري أَنْ أتوجَّهَ باسم **السَّيِّدِ وزير الثقافة الأُستاذ محمّد الأحمد** وباسم لجنةِ وزارةِ الثقافةِ للتمكين للعربيّة بجزيلِ الشكرِ لمَجْمَعِكم الكريمِ الذي يُشرِّفُنا وجودُ رئيسِهِ **د. مروان المحاسني** في مجلسِ إدارةِ الهيئةِ العامةِ السوريةِ للكتاب، وللجنةِ العُليا التي يمنَحُنا رئيسُها الدكتور **محمود السيّد** جُلَّ اهتمامِهِ ومتابعتِهِ في جوانبِ عملِنا المختلفةِ في هذا البابِ.

واسمحوا لي أَنْ أَبْسُطَ بين أياديكم الكريمةِ ثَبْتاً مُختصراً بأهمِّ ما أنجزتْهُ وزارةُ الثقافةِ في سبيلِ التمكينِ للعربيّةِ خلالَ هذا العامِ؛ مؤكّداً أَنَّ جُلَّ ما قدّمتْه هذهِ الوزارةُ منذُ تأسيسِها حتى يومِنا هذا يَصُبُّ في الغايةِ الجليلةِ التي انتدبتُم أَنفُسَكُم لتحقيقِها:

أولاً- إصدارُ سلسلةِ «قضايا لُغويَّة» تُعنى بشؤونِ العربيّةِ المعاصرةِ والتعريبِ والمصطلحِ والدَّخيلِ والتَّأْصيلِ، تَوَلَّى إنجازَها علماءُ أجلَّاءُ ومشهودٌ بعلمِهم، ومنهم أعضاءٌ في مجمعِكم الموقَّرِ، صَدَرَ منها حتّى الآن:

١- «مِنْ صحيحِ القول وفصيحِه ألفاظٌ وأساليبُ أُثير حولها غُبار» للدكتور عبد الناصر عسَّاف.

٢- «الكناية المعاصرة والأساليب الحديثة» للدكتور محمد رضوان الداية.

٣- «الترجمة وفوضى المصطلح اللِّساني» للدكتور وليد محمد السراقبي.

٤- «التنمية اللغوية طريقٌ إلى المعاصرة» للدكتور ممدوح خسارة.

٥- «الموروث اللّغويّ وأثره في بناء اللغة» للدكتور محمّد موعد.

٦- «مصطلحات مخاتلة: مصطلح الأدب العالميّ أنموذجاً» للدكتور راتب سكر.

ثانياً- إطلاقُ مسابقةِ حفظِ الشّعرِ العربيِّ السنويّةِ، وقد خُصّصتِ الدورةُ الأُولى للشعرِ العبّاسيِّ، وأُفرِدتْ جوائزُ ماليةٌ للحَفَظَةِ مِنَ المتسابقين مَعَ إهدائِهم طائفةً مِنْ مطبوعاتِ وزارةِ الثقافةِ في علومِ اللّغةِ العربيَّةِ وآدابِها، وقد أقيمَ لهم حفلُ تكريمٍ رسميٌّ برعايةِ السيدِ وزيرِ الثقافة في ١٦/ ١٠/ ٢٠١٧ م في رحابِ مكتبةِ الأسدِ الوطنيّة.

ثالثاً- إقامةُ فعّاليّاتٍ عدّةٍ، منها ندوةُ اللُّغة العربيَّة في الشهر الأخير من العام الماضي شارك فيها أعضاءٌ مِنْ مجمعِكم الموقّر د. محمود السّيّد ود.

عبد الناصر عسَّاف، وتلتْها ندوةٌ شاركَ فيها د. موفق دعبول ود. محمَّد رضوان الداية.

رابعاً- إعادةُ إطلاقِ جوائزِ سامي الدروبي للترجمةِ، وحنّا مينا للروايةِ، وعمر أبو ريشة للشعرِ بعدَ توقُّفِها من عام ٢٠٠٧ م، ورَصْدُ قيمٍ ماليّةٍ لا بأسَ بها لهذهِ الغايةِ تشجيعاً على كتابةِ النُّصوصِ الأدبيّةِ الفِصاحِ، ورَفْدِ العربيّةِ بنصوصٍ مملوءةٍ بالمصطلحاتِ العلميّةِ القادمةِ مِنَ الترجمةِ إليها.

خامساً- حرصُ الوزارةِ على إقامةِ مُحاضراتٍ شهريَّةٍ في المراكزِ الثَّقافيّةِ في محافظاتِ القطرِ تَصُبُّ في التمكينِ للُّغةِ العربيّةِ، وقد اختيرتْ بعض المحاضراتِ وقدّمتْها اللجنةُ الفرعيّةُ للتمكينِ للغةِ العربيّةِ للجنةِ العُليا للتمكينِ على أنَّها نماذجُ مِمَّا يُقدَّمُ في منابرِنا الثقافيةِ.

سادساً- انتظامُ الاجتماعاتِ الدَّوريةِ الشهريّةِ للجنةِ الفرعيّةِ للتمكينِ للغةِ العربيّةِ في الوزارةِ، ومناقشةُ كلِّ ما يطرأُ مِنْ قضايا تمسُّ العربيّةَ، منها مناقشةُ بعضِ البرامجِ التي تُقدَّمُ في وزارةِ الإعلامِ، ومناقشةُ بعضِ قراراتِ المجمعِ في الألفاظِ والأساليبِ، ومشاركةُ بعضِ أعضاءِ اللجنةِ في فعّاليَّاتٍ تُقامُ في سبيلِ اللُّغةِ العربيّةِ والتمكينِ لها، وقد تقدَّمَتِ اللجنةُ العُليا للتمكينِ بكتاب شكرٍ لِما تقومُ به لجنتُنا الفرعيّةُ مِنْ أنشطةٍ مختلفةٍ.

سابعاً- حرصُ الوزارةِ على أنْ تكونَ جميعُ مطبوعاتِها باللغةِ العربيةِ الفصيحةِ، بل نشرتْ كتباً تَصُبُّ في خدمةِ العربيّةِ تحتَ سلسلةٍ سمَّتْها: «التمكين للُّغة العربيّة»، وإحالةُ ما يردُ إلى مديريّةِ التراثِ الشّعبيِّ في الوزارة مِنْ مخطوطاتٍ كُتِبَتْ بالعاميةِ إلى مجمعِ اللغةِ العربيّةِ لأَخْذِ رأيِهِ والاستئناسِ به.

ثامناً- إقامةُ ندوةِ الأربعاءِ الشهريّةِ التي تُعَرِّفُ بأعلامِ الأدبِ والفكْرِ في

سورية، وطباعةُ الندواتِ في كتبٍ مستقلّةٍ؛ وأذكرُ مِنْ هذهِ النَّدواتِ ما خَصَّتْ به وزارةُ الثقافة: «بدويّ الجبل وعُمر أبو ريشة وصدقي إسماعيل وسُليمان العيسى ونديم محمّد ومحمَّد الماغوط ونزار قبّاني والزّركليّ وعبد الله عبد والكواكبيّ».

تاسعاً- حرصُ الوزارةِ في جميعِ دورياتِها ومجلاتِها الصَّادرةِ على سلامةِ اللغةِ العربيَّةِ، وإحالةُ جميعِ السلاسلِ مِنْ مختلفِ الاختصاصاتِ إلى خبراءَ لغويينَ لتنقيتِها مِمَّا شابها، وكذلك اشترطَتْ ألَّا تَستقبلَ مخطوطاً في الهيئةِ العامةِ السوريةِ للكتابِ إلّا أَنْ يتعهّدَ صاحبُه بعرْضِهِ على مدقّقٍ لغويٍّ متخصِّصٍ.

عاشراً- إصدارُ مديريةِ إحياءِ التراثِ العربيِّ في هيئةِ الكتابِ جملةً مِنَ النصوصِ الأدبيّةِ التي تقدّمُ عصرَ البيانِ والفصاحةِ في أَبْهى حُلّةٍ، كـ «ديوانِ عروة بن الورد، وديوانِ القاضي الهرويِّ، وديوانِ عبد الله بْنِ العجلان النهدي، وديوانِ ابْنِ أفلحَ العبسيِّ، والقصيدةِ العربيّةِ تذوُّق وتحليل، والموشَّح في شرحِ كافيةِ ابن الحاجب، وسواها».

حادي عشر- إصدارُ الهيئةِ العامّةِ الكتابَ الرَّقْميَّ النَّاطقَ: «مختارات من شعر سليمان العيسى» و«ديوانُ عُروة بْنِ الورد»، و«قصصٌ مختارةٌ مِنْ أدبِ عبد الله عبد»، و«مختاراتٌ مِنْ أدبِ أنطون تشيخوف». ولا يَخْفَى ما في هذا النَّمَطِ من الكتبِ مِنْ أثرٍ في بناءِ اللغةِ في عَقْلِ السّامعِ وتقديمِ المعرفةِ والمتْعةِ بوسائلَ غَيْرِ تقليديّةٍ.

ثاني عشر- إصدارُ الهيئةِ مجموعةً مِنَ الكتبِ الإلكترونيةِ بلغتْ حتّى اللحظةِ اثنين وسبعينَ كتاباً على موقعِها تُتيحُ القراءةَ لجمهورٍ واسعٍ بلغةٍ سليمةٍ بعيدةٍ عن التقعُّرِ.

ثالث عشر- حِرْصُ الوزارةِ ألّا تجعلَ منابرَها مقاماً لأَيِّ مادةٍ تُقدّمُ

بالعاميـةِ: شـعراً أو نثـراً، والاشـتراطُ علـى المحاضـرينَ مهمـا كـان نـوعُ المحاضرةِ الحديثُ باللغةِ العربيّةِ.

- وفي هذا السياقِ يمكننا أن نشيرَ إلى بعـضِ الصـعوباتِ التـي تواجـهُ عملَنا، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:
- عـدمُ اسـتجابةِ وزارةِ الإعـلامِ لكثيـرٍ مِـنَ المقترحـاتِ التـي قَـدّمتها اللّجنةُ الفرعيّةُ للتمكينِ للغةِ العربيّةِ في الوزارة، ولا سيّما مـا يتّصـلُ ببعضِ البرامجِ التي صِيْغَت عناوينُها بالعاميةِ، وأداءِ بعضِ المـذيعينَ بالعاميّةِ وضعف لغتهم وما إلى ذلك.
- مستوى حملةِ الإجازاتِ في اللُّغةِ العربيّةِ الذين يُعَيَّنـون فـي مؤسسـاتِ الـوزارةِ دون المـأمولِ، مَـعَ العلـمِ أنَّ اللجنـةَ الفرعيّـةَ اقترحـتْ إقامـةَ دوراتِ تثقيفٍ لغويٍّ للعاملين فـي الـوزارة مِـنَ المجـازينَ فـي العربيّـةِ وفي غيرِها، مِنَ المؤمَّل أَنْ تُفَعَّلَ مطلَعَ العامِ الجديدِ.
- ولعلّي أوجز ما يتعلّق بخطّتنا للأيام القادمة بما يأتي:
- إقامةُ ندوةٍ في الأوَّلِ من آذارَ تحتَ عنوانِ: «العربيّـةُ والحـربُ علـى سورية»، يُدعى لها كبارُ العلمـاءِ المشـتغلينَ بالعربيّـةِ وشـؤونِها فـي مكتبةِ الأسد الوطنية.
- استمرارُ صدورِ سلسلة «قضايا لغويّة».
- استمرارُ صدورِ دورياتِ الوزارة بأَبهى حُلَّةٍ لغويّةٍ وفنيّة.
- استمرارُ صدورِ الكتابِ الرَّقْميِّ بمعدَّلِ كتابٍ واحدٍ في الشهر.
- محاولةُ إعادةِ إصدارِ كتابٍ شهريٍّ مَـعَ دَارِ البعـثِ يُـوَزَّعُ مجانـاً مَـعَ صحيفةِ البعثِ مطلعَ كلِّ شهرٍ، على أَنْ يتمَّ اختيارُ الكتاب على نحـوٍ يخدم مسألةَ التمكينِ للغتِنا الجميلةِ.